

اشترك المسيحيين في صليب المسيح

الأرشمندريت جاورجيوس كابسانيس، رئيس دير غريغورويو، الجبل المقدس
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

بعد توبيخه لبطرس، طلب الرب من تلاميذه أن يعيشوا هم أيضاً حاملين صليباً. فهو يقول أن على الذين يرغبون في اتباعه أن ينكروا أنفسهم، ويحملوا صليبهم ويتبعوه (متى ٢٤:١٦).

أجاب المسيح إبنّي زبدي وأمهما عندما طلبوا منه أن يجلسا بجانبه: "أنتما لا تعرفان ما تطلبان. أيمكنكما أن تشربا الكأس التي أشربها، وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها؟ (متى ٢٠، ٢٠). يتضح من كلمات الرب هذه أن المسيح تألم ليتترك لنا مثلاً حتى نتمكن من السير على خطاه (راجع بطرس الأولى ٢:٢١). ليس الصليب مجرد "تصور مسبق" أو "رمز" أو "علامة" للمسيح، بل هو أيضاً طريقة حياة للمسيحيين، أو بالأحرى طريقة الحياة [بأل التعريف] للمسيحيين.

تماماً كما لا يمكن التفكير في المسيح الحقيقي بدون الصليب، فلا يمكن تصور وجود مسيحي حقيقي بدون صليب، أي المشاركة في صليب المسيح. كما يخبرنا المخلص نفسه، أولئك الذين لا يحملون صليبهم ويتبعونه لا يمكن أن يكونوا تلاميذه (لوقا ١٤:٢٧).

ولكن ما معنى أن أتبع المسيح وأحمل صليبي، أي أن أختبر الصليب في حياتي؟ إن الذين ينتمون إلى المسيح يصلبون الجسد بالأهواء والشهوات (غلاطية ٥:٢٤). إنني أنكر ذاتي السابقة وأسعى جاهداً لأستأصل من داخلي النزعة الأنانية وحب الذات والأهواء الخاطئة الأنانية. إن أشكال محبة الذات هي: قلة الإيمان أو انعدامه على الإطلاق؛ اللامبالاة تجاه الآخرين بل والأسوأ من ذلك، استغلالهم؛ اتباع مذهب المتعة والجسد؛ الجشع والبخل؛ الحقد والافتراء، وكل عمل يجرح الآخرين ويؤلمهم؛ الطموح والمجد الباطل.

بحسب الآباء القديسين، إذا كنت تحب نفسك، فلا يمكنك أن تحب الله ولا أن تحب الآخرين. قد تتظاهر بالقيام بذلك ولكن في أعماقك تحب نفسك فقط وهي محبة غير صحية في ذلك. ما لم نصلب محبتنا لذواتنا بصليب المسيح، لا يمكننا أن نكون تلاميذ حقيقيين له، لأننا لا نستطيع أن نكتسب محبته الحقيقية.

لهذا يقول القديس بولس، المقلد للمسيح: "حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم" (غلاطية ٦:١٤).

بحسب القديس إسحق، "العالم" هو علاقتنا القاسية بالعالم، أي أهواؤنا. لذا، فإن "قد صلب العالم لي وأنا للعالم" تعني أنني لا أتجنب الخطايا نفسها وحسب، بل أيضاً الرغبات الخاطئة والأفكار الخاطئة. يمكننا تحقيق هذا الإماتة لأننا أسرارياً قد متنا مع المسيح وقمنا معه. "كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته"، ولذا فنحن قادرون على السلوك "في جدة الحياة" (رومية ٦:٣-٤).

في حياتنا الميئة، قد مُنحنا من خلال المعمودية المقدسة الحياة الجديدة في المسيح. بعد المعمودية، تصبح الحياة المسيحية هي الجهاد لتحويل "الإمكانات" إلى "أفعال". لقد مُنحنا جهاداً من أجل حياتنا في المسيح، وهي حياة جديدة متجددة، لنتنصر ونغيّر كل عنصر من عناصر ذواتنا السابقة والميئة. هذا الجهاد هو الصليب.

Source: Archimandrite Georgios Kapsanis, Abbot of the Holy Monastery of Gregoriou. The Participation of Christians in the Cross of Christ. Pemptousia. 20 September 2022. <https://pemptousia.com/2022/09/the-participation-of-christians-in-the-cross-of-christ/>